المحاضرة الأولى: (تعريف الأدب 1)

تعريف الأدب:

لقد مرّت كلمة (أدب) عبر العصور بمعاني مختلفة؛ فإذا عدنا إلى العصر الجاهلي لم نجد هذه الكلمة متداولة، غير أننا نعثر على كلمة قريبة منها وهي الآدب، وتعني الداعي إلى الطعام أو الوليمة، من ذلك قول طرفة بن العبد:

نحن في المشتاة ندعو الجَفَلَى لا ترى الآدبَ فينا ينتقر

وهذا البيت بيّن قمة الكرم، فالآدب هنا يدعو عامة من يلتقيهم إلى الطعام وفي الشتاء (حيث يشتدّ الجوع من شدّة البرد)، ودعوة الجفلى فخلاف دعوة الانتقار (أي اختيار المدعوين). ومن ذلك المأدبة التي يدعَى فيها الناس إلى الطعام.

وفي صدر الإسلام نجد قول النبي صلى الله عليه وسلم (أدّبني ربي فأحسن تأديبي) فهي دالة هنا على تهذيب الخلق.

أما في عصر بني أمية فنجد الكلمة استمرت في دلالتها على التهذيب الخلقي، مع دلالتها على التعليم؛ حيث ظهرت طائفة من المعلمين مهمتهم تعليم أولاد الخلفاء مختلف الفنون وصنوف المعارف (من أخبار العرب، وأيامهم، وأنسابها، وأشعارهم، وعلوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة... وفقه وسيرة وتفسير وأحاديث...)

وفي العصر العباسي نجد انتشارا واسعا لكلمة (أدب) مع تلازم المعنيين التهذيبي والتعليمي، وقد ظهرت مؤلفات عديدة في الأدب بمفهومه الواسع (مختلف الفنون والمعارف) من ذلك: (الأدب الصغير) و(الأدب الكبير) لابن المقفع، وفي الدائرة نفسها تدور أمهات الكتب كـ (البيان والتبيين للجاحظ) و(الكامل للمبرّد) وغيرها كثير.

واستمرّ تداول كلمة أدب بالمعنيين السابقين، والتهذيبي والتعليمي بمفهومه الواسع، وفي هذا الشأن يقول ابن خلدون: "الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارهم والأخذ من كل علم بطرف"

ويشير شوقي ضيف إلى أن كلمة أدب أخذت منذ أواسط القرن الماضي تدلّ على معنيين: معنى عام يقابل معنى كلمة Littérature الفرنسية التي يطلقها الفرنسيون على كل ما يكتب في اللغة مهما يكن موضوعه ومهما يكن أسلوبه، سواء أكان علما أم أدبا خالصا، فكل ما ينتجه العقل والشعور يسمى أدبا. ومعنى خاص هو الأدب الخالص الذي لا يراد به إلى مجرد التعبير عن معنى من المعاني، بل يراد به أيضا أن يكون جميلا بحيث يؤثر في عواطف القارئ والسامع على نحو ما هو معروف في صناعتي الشعر وفنون النثر الأدبية مثل الخطابة والأمثال والقصص والمسرحيات والمقامات..."

وبهذا يمكننا تعريف الأدب الذي نروم إليه في هذا الصدد، بقولنا: "**الأدب هو الكلام الإنشائي البليغ الذي يُقصد به إلى التأثير في عواطف القراء والسامعين، سواء أكان شعرا أم نثرا**"

أصل العرب وطبقاتهم:

يعد العرب أحد الشعوب السامية، نسبة إلى سام بن نوح، وهي الأمم التي ذكرت التوراة أنها من نسله، وتسمى لغاتها باللغات السامية، كالعربية، والعبرية، السريانية، والحبشية، والآرامية وغيرها، وهي تسمية استحدثها بعض المتأخرين من علماء اللغات. وقد اختلف الباحثون في منشإ تلك الشعوب الذي امتهدته

وتفرقت منه، فبعضهم ذهب إلى أنّ مهد الساميين الحبشة في إفريقيا، وقال آخرون: بأن مهدهم جزيرة العرب (وأدلتهم كثيرة).

وقد ذهب المؤرخون إلى أن العرب قسمان: بائدة وباقية؛ ويسمون البائدة بالعرب العاربة، على التأكيد للمبالغة (كقولهم: ليلٌ لائلٌ، وصوم صائم...) وذلك برسوخهم في العروبية كما يقولون.

ويقسمون الباقية إلى قسمين: يسمون الأول بالعرب المستعربة، لأنهم ليسوا بصرحاء في العروبة ولا خُلّصاً، بل هم استعربوا بانتقال الصفات العربية إليهم ممن قبلهم، وهم من بني حِميَر بن سبأ؛ ويسمون القسم الثاني بالعرب التابعة للعرب، وهم من قضاعة وقحطان وعدنان وشعبيها العضيمين: ربيعة ومضر.

وقد يقسمون العرب إلى ثلاث طبقات: بائدة، وعاربة، ومستعربة، ويريدون بالبائدة القبائل الهالكة، وبالعاربة عرب اليمن ومَن ولدَ قحطان، وبالمستعربة أولاد إسماعيل عليه السلام، لأنه كان عبرانيا فاستعرب بعد أن اتصل بجُرهُمَ الثانية من ولد قحطان وأصهر إليهم.

عصور الأدب العربي (أقسامه):

قسم الدارسون الأدب العربي إلى مراحل تاريخية أو عصور هي على النحو الآتية:

- العصر الأول: عصر الجاهلية أو ما قبل الإسلام
- العصر الثاني: العصر الإسلامي: يمتد من رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى سقوط الدولة الأموية سنة 132هـ وهو العصر الذي تكونت فيه الدولة العربية وتمت الفتوح الإسلامية.

ومن المؤرخين من يقسم هذا العصر قسمين: فهو إلى نهاية عصر الخلفاء الراشدين يُسمى عصر صدر الإسلام، وما يليه إلى آخر الدولة الأموية يسمى العصر الأموي.

- العصر الثالث: العصر العباسي، ويستمر إلى سقوط بغداد في يد التتار سنة 656هـ.

على أن بعض الدارسين يقسم العصر العباسي قسمين: العصر العباسي الأول: ويمتد نحو مائة عام، والعصر العباسي الثاني: ويستقل ببقية العصر.

ومن المؤرخين من يقسمه ثلاثة أقسام يُبقي فيها القسم الأول بالتسمية نفسها، أما العصر العباسي الثاني فيقف به عند سنة 334هـ وهي السنة التي استولى فيها بنو بويه على بغداد، والتي أصبحت الخلافة العباسية منذ تاريخها اسمية فقط، ويمتدّ العصر العباسي الثالث إلى استيلاء التتار على بغداد

- العصر الرابع: يبدأ باستيلاء التتار على بغداد ويستمر إلى نزول حملة نابليون بونابرت على مصر سنة 1798.
- العصر الخامس: ويمتد من حملة نابليون بونابرت على مصر إلى أيامنا الحاضرة.